ب ـ تأبينه في المؤتمر

أقام مؤتمر المجمع حفلاً لتأبين الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع ، ورئيس اتحاد المجامع اللغوية والعلمية والعربية ، في جلسة علنية عقدت بدار المجمع في الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء غرة ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٦م ، وكان منهج الحفل على النحو التالي :

١- كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

٢- كلمة في تأبين الراحل الكريم للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان .

٣- مرثية في وداع الفقيد للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب .

٤- إبراهيم مدكور رجل مبادئ للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع من المغرب .

٥- في موكب الخلود (بكائية) للأستاذ حسن عبد الله القرشي عضو المجمع المراسل من السعودية.

أولاً : كلمة الافتتاح
للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع

أيها السادة

نجتمع اليوم أيها السادة الكرام لتأبين شيخ المجمعيين الدكتور إبراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع الراحل ، وقد أقام المجمع للفقيد الكريم حفل تأبين عظيم فى ذكرى الأربعين من وفاته، وحينما جاء زملاؤنا من البلاد العربية أبدوا رغبتهم فى أن تكون لهم كلمات تأبين لشيخ المجمعيين رئيس المجمع .

والأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ولد فى قرية من قرى محافظة الجيزة هى قرية (أبو النمرس) بجوار الأهرام ، وقد عنى به والده عناية كبيرة فأدخله "كُتّابا" حفظ فيه القرآن الكريم "، ثم ألحقه بالأزهر، ومن بعده التحق بمدرسة القضاء الشرعى، وأتم الدراسة فى القسم الأول، ثم تحول إلى مدرسة دار العلوم العليا ، وتخرج فيها سنة ثمان وعشرين، ورشح لبعثة إلى إنجلترا ، ولكن ظروفا سياسية حالت دون سفره ، فسافر على نفقته الخاصة فى سنة تسع وعشرين إلى فرنسا ، وانتسب إلى جامعة السربون فى باريس ، ومضى فيها يعمل جاهدا حتى حصل على ليسانس الآداب سنة إحدى وثلاثين، وليسانس الحقوق سنة ثلاث وثلاثين، ثم نال درجة الدكتوراه من السربون سنة أربع وثلاثين، وفى سنة خمس وثلاثين عاد إلى مصر ، فعمل مدرسًا بكلية الآداب ، وبعد سنتين رأى أن يعمل فى الخدمة العامة للأمة فترك التدريس فى كلية الآداب إلى مجلس الشيوخ ، وعين فيه عضوا سنة سبع وثلاثين ، وظل به نحو خمسة عشر عاما، وفى هذه الأعوام عنى بأن يكون له صوت فى أشياء تهم الأمة، فكتب كتابا بالاشتراك مع زميل له عن إصلاح الأداء الحكومى ، وفى هذا الكتاب طالب بتحديد الملكية الزراعية . وفى سنة ست وأربعين عين عضوا بهذا المجمع ، وظل عضوا عاملا فيه

حتى سة تسع وخمسين حين اختير أميـًا عامًا للمجمع ، وظل فى الأمانة العامة للمجمع حتى اختير رئيسًا له سنة أربع وسبعين، ومن هذا التاريخ وحتى وفاته وهو رئيس للمجمع ،وفي هذه المدة الطويلة التى قضاها شيخ المجمعيين رئيسًا للمجمع دفع المجمع خطوات واسعة إلى الأمام، فغزر إنتاجه، وتنوع ما بين كُتب فى التراث العربىْ إلى الكثير من المعجمات العلمية المتخصصة، ومن أبرز كتب التراث العربى التى حققت إبان رياسته للمجمع كتاب (التكملة والذيل والصلة) للصاغانى ، وكتاب (الأدب) للفارابى ، وكتاب (الأفعال) للسرقسطى، كما عنى -رحمه الله- بالمجموعات العلمية الاصطلاحية التى ينجزها المجمع سنويا ، فأخرج مجموعات متوالية منها حتى وصلت إلى ست وثلاثين مجموعة . وله بجانب ذلك من أعماله المجمعية تقديمه للمعاجم اللغوية التى أخرجها المجمع ، وقدم معها معجما نفيسا هو : (معجم ألفاظ القرآن الكريم). وفى أثناء عمله أمينا عاما للمجمع ألقى محاضرات مختلفة فى مؤتمرات المجمع، وهذه المحاضرات جمع منها طائفة فى عددين من أعداد (سلسلة اقرأ). وله نشاط واسع فى الإشراف على إخراج كتاب (الشفاء لابن سينا) ، وقدم ثمانية أجزاء منه إلى القراء ، مع مشاركته أحيانًا فى المراجعة ، فضلا عن سبعة أجزاء من كتاب (التوحيد والعدل) لعبد الجبار المعتزلى ، وثلاثة أحزاء من (الفتوحات المكية) لابن عربى ، فعمله فى هذا الجانب أيضا كان عملا واسعا إذ أشرف على طائفة مهمة من كتب التراث الفلسفى .

وفيما يختص بالمجمع له ثلاثة كتب تتصل بالمجمع مباشرة هى :

(معجم اللغة العربية فى ثلاثين عاما) و(مع الخالدين) و (بحوث وباحثون). وأيضا من أعماله المجمعية (المعجم الفلسفى)وهو نتاج لجنة الفلسفة التى كان مقررًا لها، وهو الذى أشرف عليه ، وغلى المصطلحات التى احتواها هذا المعجم ، وهو مطبوع من مدة بعيدة.

وبجانب ذلك له كتاب فى الفلسفة الإسلامية بعنوان : (الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق) ، وقد أدخل فى الفلسفة المتصوفة ، والمتكلمين ، وهذا يعد شيئا جديدًا ، لأننا فى العادة حينما ندرس

فلاسفة المسلمين،لا ندخل فيهم المتكلمين. وله كتاب ثان فى الأخلاق والاجتماع.

لقد أثرى الفقيد الكريم المكتبة العربية ببحوثه ودراساته ، كما أثرى المجمع بأعماله العلمية المختلفة، ولكن نقول:" إنا لله وإنا إليه راجعون"تسليما لقضاء الله وإرادته.

ثانيا ـ كلمة فى تأبين الراحل الكريم
للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

أيها السادة :

اسمحوا لي أن ألقي بين يديكم كلمة عن شيخ المجمعيين الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع .

رحم الله شيخ المجمع أمينا ورئيسا له ، ثم رئيسًا لاتحاد المجامع. تفصيل حياته من حين ولد بناحية من قرى الجيزة غير بعيد من القاهرة فى أول هذا القرن الشمسى إلى زمان قريب مستوفى فى كتاب المجمعيين فى خمسين عاما لزميلنا الراحل نائب رئيس المجمع آنئذ الدكتور مهدى علام رحمه الله ـ ذكر فيه درسه القرآن وتخرج من دار العلوم ونال الشهادة الجامعية، والدكتوراه من السوربون وعمل أستاذا بالجامعة ونائبا فى مجلس الشيوخ، ثم اختير عضوا عاملا بالمجمع سنة ست وأربعين وأمينا سنة إحدى وستين، ورئيسا سنة ثلاث وسبعين إلى وفاته -رحمه الله- فى كانون الأول سنة ١٩٩٥م من التأريخ الميلادى وقارب -رحمه الله- أو أكمل سبعا وتسعين عاما بالعد القمرى . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

أول عهدى بشيخ المجمع قارئا ما كان يكتبه فى رسالة الأديب البليغ أحمد حسن الزيات رحمه الله تعالى . وكانت منبرا نسمع من خلال أسطاره صوت عظام أهل الفكر. الشعراء منهم الزهاوى ومحمود غنيم وأنور العطار.واللغويين منهم الكرملى والنشاشيبى .والنقاد وأهل البيان منهم الرافعى وعبد الوهاب عزام وهلم حرا وكان رحمه الله من الكتلب فى الفلسفة نحفظ اسمه مع أسماء إسماعيل مظهر ثم من بعد زكى نجيب محمود ، ولم يتح لى آنئذٍ وأنا طالب بكلية (غوردون) بالخرطوم النائية فى أعماق صحراء إفريقية أن ألقى من كبار أدباء العرب وعلمائهم من كان يطمح القلب طموحا إلى لقائهم. رحم الله الدكتور إبراهيم مدكور . والمسلمون يتبركون باسم إبراهيم ؛لأنه اسم ابن نبيهم الذى مات صغيرا، ودمعت عليه -صلى الله عليه وسلم- عيناه، واسم أبينا خليل الله إبراهيم ،وهو سمانا المسلمين وابنه إسماعيل- عليه السلام -جد العرب،

مضر منهم فى قول ، والعرب كلـــهم فى قول آحر :

وهو الذى بشرت به كما فى التـــوراة أم إسماعيلا

ودعته وحسن الناس كل ندية وله علـــى الناس الأيادى الطولى

كما قال الإمام البوصيرى فى لاميـــة لـــه رائعة.

هذا وأول ما تشرفت بلقاء الدكتـــور مدكور رحمه الله فى أول ســـنة ١٩٦٢م عند اجتماع لمؤتمر المجمع بعد أن صـــار -رحمه الله- أمينا له . وكان الرئيس آنئـذ أحمد لطفى السيد باشـــا . وقـــد كـــان للدكتور إبراهيم مدكور منذ البدء فى كل اجتماع حضور وأداء تام وتوجيـــه . ولم يكن أحد ما -معشر الأعضاء -يحس أنـه فيلسوف دون إعلان بتخصصه . بل كان أغلب انطباعات النفـــوس عنـــه حـــودة خطابته ويقظة حضوره فى الجلســـات ، وانتباهه ومشاركته الواعيـــة لمـــا يقولـــه الخبراء، ولما يدلى به الأعضاء من وجـــوه المناقشة والمراء الظاهر . وكان رحمـــه الله يحسن المقاربة بين الوجوه المتابعـــة مـــن الأقوال، ويتأتى بلباقة إلى الحلول الوســـط كاقتراح بديل مناسب أو إحالة إلى بعـــض اللجان .

وكان إد يتأتى إلى ذلك فى أيام لطفى وطه من بعد، رحمهما الله ، يفعل ذلـــك من حيث هو أمين لا يفتات على رئيســـيه بشىء من تخطٍ على ما كان لأولهما مـــن ضعف .

كان رحمه الله وافرًا من الأدب المـــهذب واللباقة وسيرة الحرم .

وكان رحمه الله أمينـــا ورئيســـا ذا دأب وأسفار . وقد شرفنا بزيارتـــه الخرطـــوم ورأيته وهو شيخ تقدمت بـــه الســـن فى الرباط وإسبانيا ، وكان رحمه الله علـــى وعثاء السفر صبورا وعلى مدى الجلسات وما يستر بها أحيانا من دواعـــى الفتـــور والسأم جلدا .

هذا وقد كان مع اهتمام بأمر المجمـــع عامة ، يهمه أمر الأعضاء فـــردا فـــردا . يكتب إليهم يهنئهم بالأعياد، ويســـتقبل الوافدين كلا منهم كأنه مســـتقبله هـــو وحده. وأنا حاصة أحمد له أنه كان كثيرا ما يسألنى ويستشيرنى، وكـــان يســـألنى أحيانا عن السودان سؤال متلطف حفى لا مستخبر مستنبئ، كان ذلك منه مجاملـــة

تبث فى النفوس راحة وثقة وانشـــــرحا .

وأذكر هذه المناسبة أن الدكتور طه حسين رحمه الله كان ربما سألنى نحوا من ذلـــك بصوته الذكى العبقرى الودود . مرة قـــال لى ، وكانت قد وقعت من رئيسنا السابق جعفر محمد النميرى جفوة ما :

ما هذا النميرى؟ . فلم أتردد أن قلت له:

ولما رأت ركب النميرى أعرضت

وكن من أن يلقينه حذرات

وهو فى القصيدة التى أولها :

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت

به زينب فى نسوة خفرات

يخبئن أطراف البنان من النقى

ويخرجن شطر الليل معتجرات

وزينب هذه أخت الحجاج بن يوســـف الثقفى

فقال رحمه الله وهو يضحك على الفور:

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وكان مما سألنى عنه واستشارنى فيـــه فقيهنا الدكتور إبراهيم مدكور رحمـــه الله أمر بعض التمثيل فى عضويـــة المجمـــع، فاقترحت عليه أن يوسع فيها حتى يدخلـه عدد من فحول العلماء والأدباء من رقعـة بلاد الإسلام الواعدة . ونبـــهت علـــى الخصوص .على أدباء بلاد إفريقية الغربيـة وحضرتنى منها على وجـــه التمثيـــل لا التذكية أسماء بلاد وأفراد . وقد اتبع رحمه الله قبول ما سمع منى واستحسن بتنفيـــد جديد أكيد سديد . ووســـع العضويـة فجاوزت بلاد العرب والمستشـــرقين إلى علماء بلاد المسلمين جميعا فى مشـــارقها ومغاربها .

ولكم أفرحنى انتخاب زميلنا الراحـل الأستاذ الحـــاج آدم عبـــد الله الألـــورى أحزننى فقده منذ نحو ثلاثة أعوام . وكـلن قد جاهد رحمه الله فى أمر تعليم العربيـــة بأرض اليوروبا وفى مدينة أبادان ومدينـــتى كانتقورا ولاغوس . وكنت قـــد رأيـــت مبادئ علمه رحمه الله هو وزميله المرابـــط الفذ خرشى الثانى اليرباتى سنة ١٩٥٨م . وكان الأمل آنئذٍ فى نجـــاح مســـاعيهما ضعيفا إذ كان الاستعمار بتعصبه علـــى العربية ضاربا بحجران . ثم قد رأيت بحمد الله كيف تغلبنا على تلك الصعاب حـــتى أن اللغة العربية الآن منهج متلئـــب مـــن مناهج التدريس للصغار .

هذا وقد كان عمل المغفور له الدكتور مدكور فى توسيع رقعة العضوية العاملة والمراسلة عملا تمه إنشاء اتحاد المجامع أو كان كالتمهيد لبعضه . وقد ذكرت فى مرثيتى للدكتور مدكور رحمه الله أن هذا كان كأنه من عمله ونبهنى زميلنا العلامة الشيخ حمد الجاسر أن مبدأ تنشئة الاتحاد وفكرته قد كان ذلك من عمل الدكتور طه حسين رحمه الله . وكلا الرجلين عطر الله قبريهما بمسك الجنة والرئيسين اللذين سبقاهما قد رفعا بهذا المجمع حتى قد صار هو المنار الهادى للعرب أجمعين فى ميادين خدمة العربية إن شاء الله تعالى .

رحم الله الدكتور إبراهيم مدكور وأسكنه فى الفردوس دار النعيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

ثالثا ـ مرثية فى وداع الفقيد

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

نَعَتْ كبيرًا شهيرًا غيرَ مغمورِ ... وقد خطا عملُ التعريب عدة

رسالةُ ضُمِّنَتْ منعى لمذكور ... خطواتٍ ذواتِ التزام بالمعاييرِ

مَنْ كانَ مجمعُ كلِّ الحالدين يُرَى ... من بينها مثلا توحيد مصطلح

مِنْ عهدِ لطفي له ربَّان تسييرِ ... بين المجامع في متنٍ وتفسير

وقد تولى مقاليدَ الأمورِ بهِ ... والمعجمانِ وسيطٌ والوجيزُ معًا قد

مِنْ بعد طه أخا جد وتشميرِ ... زيَّنا صُحْبَةَ المِصبَاحِ في الدُّورِ

وكانَ في جلسةِ الأعضاء يرأسهُا ... ومعجم المجمع السفرُ الكبيرُ عسى

بذي حضورٍ وإشرافٍ وتأثيرِ ... يتم نقص لسان لابن منظورِ

وكانَ وهو كبيُر السن ذا دأبٍ ... عُيِّنْتُ عُضوًا وعُمري أربعون فقد

وما ونى قط في حزمٍ وتدبيرِ ... شاهدتُ جيلاً من الغُرِّ المغاويرِ

ومات في أول التسعين جازوها أو ... أهل البصائرِ في بحثٍ ومعرفةٍ

كاد ما مُس في عقل بتغيير ... بكلِّ كتر من الآثار مذخور

وكلُّ نفسٍ لهذا الموتِ ذائقةٌ ... وكان لطفي رئيسًا ثمَّ نائبهُ

فلا يَغُرَّن شيخًا طولُ تعمير ... طه العميدُ فما يَعْيَا بتعبيرِ

نعى أبا المجمعِ الناعي مآثرُهُ ... وكانَ هَدكَ مِنْ شيخ ورشحني

طوعُ اليراعِ فَحَبّر كل تحبير ... ترشيح ود وإعجاب وتقدير

ذي الدارُ شيَّدَها إنجازُ مدكورِ ... وذاك فضل من المولى ظفرتُ به

منْ بعدِ لأي إعارات وتأجيرِ ... من نابه عبقري السبق محضير

حتَّى كأنَّ ولاةَ الأمرِ قد غفلوا ... وكانَ في المجمع النجار في نفرٍ

عنَّا وحتَّى عُددنا في الأساطير ... من قادةِ الفكرِ أهلِ العلمِ والنورِ

هذا كذاك اتحادًا للمجامع قد ... مس كلِّ ذي قوةٍ حفظًا وبادرةً

أرسى قواعد سعي فيه مشكور ... وكلٌّ في الضَّادِ حذق وتنظير(١)

(١) هما فَصْلُ بين المتضايفين أي كلُّ دي حذق في الضاد – وهو فصيح .

مِن هؤلا كانَ عزَّامُ وكان له
والشَّرقِ والمغربِ الأقصى وفي بلدِ

مدى من الفضلِ رَحْبٌ غير محصور
السودانِ فورٍ وفوتٍ ثمَّ تكرورِ

وكانَ ترجَمَ إقبالاً وحقَّقَ شعْرَ
لقد بكيتُ بدمعٍ غير مترورِ

ابنِ الحُسينِ بضبطٍ منهُ موفورِ
عليهم سادتي أرباب تنويري

وكانَ عباسُ العقادُ نعلمهُ
ويشمل الله مذكوراً بمرحمة

بحرًا وفارسَ منظومٍ ومنثورِ
له وعفوٍ لذنبٍ منهُ مغفورِ

وناقدًا نافذًا فذًا وذا قدمٍ
ويجعل الخُلدَ في الفردوسِ مسكنَهُ

في كل فن وتحصيل وتفكير
دارَ المُقامة رزقا غيرَ محظورِ

ثم الشبيبي بحاثُ أخو قِطَعٍ
ومن فقدناهم فاللهُ يشملُهُم

من القريض لها إيقاع مزمور
بنعمةٍ حين تغشى نفحةُ الصُّورِ

وأحمد حسن الزيات بينهم
نعوذُ باللهِ منْ شرِّ المحاذيرِ

والتونسيان حسني وابنُ عاشورِ
ونسألُ الله تيسيرَ المعاسيرِ

والمغربيُّ ابنُ كنون وطائفةٌ
وقلتُ للنَّفْسِ أُمِّي البيتَ واعتمري

من الفحول الألبَّاء النحارير
وفي المدينة قبرَ المصطفى زُورِي

فيهم عزيزُ أباظا كانَ يُنشدُنا
ثمَّ الصَّلاة على المُختارِ ثمَّ

شعرًا عزيزًا بصوتٍ منه مجهورِ
على آلٍ وصَحْبٍ وتسليمٍ بتكريرِ

على عروضِ الفراهيديِّ يصنعهُ
عبد الله الطيب

حزلاً وما فيه من بيتٍ بمكسور
عضو المجمع

ولا حداثةُ تفعيلٍ ألمَّ بها
من السودان

خَوْفَ الخَباثِ الحديثين المناكيرِ

وقل أمثالُهم أهلُ البيان هُمو

أهلُ الفصاحةِ قولاً غير ذي زورِ

في النِّيل والشَّام الزوراء واليمن

الخضراء والطَّود من لبنان والطُّور

رابعا – إبراهيم مدكور رجل مبادئ

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

كنت أسمع به ولكن لم أتعرف عليه شخصيا إلا عندما جمعتنا الصدفة على أرض الرافدين فى الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية عندما اختار بغداد مقرًا لانعقادها عام ١٣٨٥=١٩٦٥ أى قبل أكثر من ثلاثين سنة حيث تعرفت عليه مع أعضاء المجمع عندما كنت سفيرا لبلادي بالعراق .

هناك حضرت لافتتاح الدورة مدعوًا من المجمع العلمي العراقي حيث استمعت فيمن استمعت إليهم الدكتور مدكور الذي كان يقوم آنذاك بمهمة الأمين العام لمجمع اللغة العربية .

وقد دعوته إلى بيتي فى الوزيرية ضمن عدد من الزملاء كان يتقدمهم الأستاذ عبد الله كنون الذى شاء القدر أن أخلفه فى كرسيه بهذا المجمع الموقر .

ومن ثمة ظلت صلتى بإبراهيم قائمة، وقد تعززت هذه الصلات بحضوره إلى المغرب عندما احتضنت بلادنا ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية أواخر نوفمبر ١٩٨٤ أى بعد مرور ثماني سنوات من التحاقى بالمجمع .

أعترف أمامكم أننى كنت أعتبرك دوما أستاذا جليلا، وكنت أشعر إزاءه بواجب الاحترام والتقدير الذي فرضه علىّ تعامله رحمه الله وتواضعه الجم وأريحيته المتناهية فى الخلق الرفيع .

وقد تأثرت بالغ التأثر من إهدائه لى بخطه المتئد الرصين ، بتاريخ ١٩٨٥/٩/٢٥ ما كان قد طبعه من الفتوحات المكيةٌ لمحيى الدين ابن عربى وبأسلوبه المرح قال لى معلقا مبتسما: سترى أن " الفتوحات المكية" كان ينبغي أن تسمى "بالفتوحات الفاسية" لأن آراء ابن عربى إنما اكتملت أثناء مقامه بالمغرب وبخاصة بمدينة (فاس) على نحو ما كان بالنسبة لشيخه أبى مدين ... عندما كان بها طوال عهد ملوك ثلاثة يوسف بن عبد المؤمن ،ويعقوب بن يوسف، ومحمد الناصر ابن يعقوب .

ولم يفت الرئيس مدكور أن يلاحظ أن "الفتوحات" تعد مرجعا من المراجع المهمة التى تفيد فى تاريخ العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب مذكرا بما حدث لابن رشد (٥٩٥) معاصر ابن عربي ففى رده أى رد ابن رشد على الغزالى (ت ٥٠٥) ما يشهد بأنه كان ملما إلماما تاما بدقائق الفكر الفلسفى فى المشرق .

وبالرغم مما نعرفه جميعا عن باع الأستاذ مدكور فى ميدان التأليف والإشراف على التأليف، وفى ميدان المشاركة فى مختلف مناحى الفكر، فقد لذ لى أن أعيش مع مدكور فى تصديراته للفتوحات لأعرف جيدا مدى آرائه فى هذه الموسوعة الصوفية ، وفى مؤلفها المعروف الذى دوى فى عالم التصوف .

وقد كان مدكور منصفا لابن عربى عندما قال وهو يتحدث عن الصوفية - إنه من الظلم أن يرمى المتصوفة بكفر أو إلحاد أو زندقة ، والأصل فى المسلم هو الإيمان إلا إن قام الدليل القاطع على غير ذلك ...

لقد رأيت أن الرجل وهو متشبع بأفكاره الحرة المستنيرة يقصد إلى رد الاعتبار لابن عربى بعد أن لاحظ أن بعض إحواننا فى المشرق لم يولوا الاهتمام اللازم للمتصوفين المغاربة ... ولم يتصدوا للأدب الصوفى الذى يعد قسما مهمًا من أقسام الأدب العربى الذى ينفذ إلى القلوب" .

وهكذا لم يكن مدكور مجرد قارئ أو مراجع لما حققه الأستاذ الجليل عثمان يحيى الذى وقف حياته على دراسة ابن عربى ولكنه كان يتتبع إفادات ابن عربى، ويعلق عليها التعليقات التى كان يرى أنها ضرورية ، والتى كانت تسير وفق مبادئه وفكره من غير أن يجامل أو يكابر ولذلك بقى على الخط الذى عرفناه له من التزام الصدق والحذر فى القول وعدم غمط الناس حقوقهم .

لقد كنت أجد فى "تصديراته" الموجزة المركزة ما يعطينى فكرة مدققة عما كان ينتظرني فى صلب الكتاب وأعتقد أن كل القراء يوافقوننى على هذا الاستنتاج .

لقد أفادنا أن ابن عربى بالرغم من أنه أندلسى المولد والنشأة، وبالرغم ما كان لمذهب مالك فى الأندلس والمغرب من منزلة وسلوكيات فإنه يبدو عليه أنه لا يتعصب لمذهب بعينه ...

وقد أبرز مدكـــور فى - تصديـــره - التفرقة بين " الحقيقة" التى تنفذ إلى العمـق وبين الشريعة التى تعد عند المتصوفة مجـرد رسوم ..

وكم كانت تستوقفنا كلمات نالت مـــن إبراهيم منالها فرددها فى تصديره إعرابـــا عن التأثر بها والسير على منوالها مثل :"من نام بنفسه فهو ميت ومن مات بربه فـــهو نائم" وأشد ما كان تأثرى عندما قرأت ما جاء فى تصديره الأخير للمجلـــد الرابـــع عشر عندما ردد قوله : حياة العلم مذاكرة تفتح الباب للأخذ والرد" .

وكأنه يقدم إلينا مبدءا من مبادئه الرفيعـــة التى تهدف إلى احترام حرية الفكر ومزايـــا الحوار الهادف ...

ولا أريد أن أسترسل فى الحديث عـن مداركه حول (الفتوحات) فإن لذلـــك مجالس خاصة قد نعود إليها . ولكن الذى يهمنى من هذه الصفحة الباقية من شهادتي عن الرئيس الراحل ما يتصـــل بجـــهاده الوطنى وسلوكه السياسى .

لقد عرفنا عن الأستاذ مدكور - وهو يمارس البحث العلمى - مثـــل المصداقيـــة والنزاهة فى تقصى الحقائق ... ونريـــد فى هذه العجالة أن نعرف عن مدكـــور فى تطبيقه لهذه المبادئ على الصعيد السياســى . أى أنه يكون ذا جلد واحـــد ووجـــه واحد وكلمة واحدة . كان يريد أن يظل رجل مبادئ فى الحركة الوطنية ، رجـــل مبادئ وهو يخاطب الجمهور،رجل مبادئ وهو يدعو إلى الإصلاح، ورجل مبـــادئ وهو يتمتع بعضوية مجلس الشيوخ. لكـــن هذه المواقف منه لم تكـــن مستســـاغة فى شريعة السياسة التى ليست لها شريعة .

نحن نتذكر - بوصفنا مجمعيـــين - أن لسان الذين ذكرهم ابـــن الخطيـــب - فى كتابه " إعلام الأعلام فيمن بويـــع قبـــل الاحتكام " أشار بأسلوبه الرفيع البديع إلى القصة المأساوية لأحد الأمراء المراهقـــين كان يحمل اسم عبـــد الله بـــن أميـــة . استعجل الوصول إلى الحكـــم واســـتثقل وجود والده على الكرسى، ولما لم يفلـــح فى إقناع والده باعتزال الحكم - عمل على تصفية الوالد حتى إذا ما جلـــس علـــى الكرسى التفت يمنة ويسرة فشعر - كمـــا تقول بعض المصادر - أن وجود أعمامـــه قد يهدد حكمه فأخذ يتخلـــص منـــهم الواحد بعد الآخر .. ثم عمد إلى إخوتـــه

فعمل فيهم من سوء التصرف ما اقشعرت منه الجلود .

وقد أشفق ابن الخطيب - على القواء أن تصدمهم مثل هذه الأخبار وأن يتساءلوا عن بواعثها الحقيقية فقال عبارته التى تظل عندى الشعار الصادق للتعريف بالسياسة ، قال :" ولا تستعربن ذلك فتلك بضاعة فى سوق السياسة رائجة فمن عوفى فليحمد الله " .

وهكذا عبر عن السياسة بالبضاعة، عبر عن محيطها بالسوق وعبر عن تداول القول فيها بالرواج ، وكلها مفردات وألفاظ تنم عن " البيزنس " كما يقال بلغة اليوم .

وقد كنا نحفظ ونحن نعيش فى المدرسة قصيدة نونية نشرتها مجلة (الرسالة) المصرية لأحد شعراء العراق المبرزين أحمد صدقى الزهاوى يقول فى مطلعها :

"الكذب أسعدنى والصدق أبكانى"

لقد قال فى جملة ما قال :

هل السياسة إلا كذب باقعة

على جماهير من بله وعميان؟

أستاذنا مذكور - وهو يعيش تجربته السياسية - لم يرض أن يكذب على الناس .. ولم يقبل أن يعد منتحبيه بالمغفلين والبلداء واللامعين .

وأدرك فى أثناء المسيرة أن السياسيين يعيشون عمرهم المحدود، وفتراتهم العابرة من الحياة التى تأكلهم أكلا " وتطويهم طيا .." لذلك نراه يفضل جانب الاستقراء والاستمرار ، وجانب الحياة مع الخالدين عوض العيش فى زحمة العابرين .

وهنا وجدناه فى مجال العلم والمعرفة ، وجدنا أن الأكاديميات والمجامع تتهاداه من مؤتمر إلى آخر، ومن ندوة إلى أخرى ، مدرسًا وأستاذا ومحاضرا ووجدناه إلى جانب هذا ألا يقنع بالكرع من معين الثقافة العربية التى كانت قاعدته الأساسية ولكنه يتوق لأن يكون مزدوج الثقافة .

وهذه محطة بارزة فى حياة إبراهيم مدكور كان لها أكبر الفضل فى ذيوع شهرته ، وقوة عارضته وتنوع مناحى معرفته ، وكانت المعبر الأكثر دلالة عن قوة شخصيته ومضاء عزيمته .

وقد مكنته هذه " الازدواجية" من أن يخرج من العالم المحدود الذى كان يعيشه إلى عالم آخر أفاد منه واستفاد ، وجدناه يتجول فى القارات : أوربا وآسيا وأفريقيا

وأمريكا؛ يحاضر ويناقش بفكـــره الحـــر البناء .

وقد عرفناه في المجمع رائدا مستحضرا موجها متواضعـــا وصارمـــا في الوقـــت الواحد، يوزع الحديث بصوته الجـــهوري على الزملاء ويراقب عن كثب مبـــادئ المجمع أن تمس أو تحرف ، مدافعـــا عـــن كرامة المجمعيين ومركزهم ... وما نسيت لا أنسى يوم ١٩٩٥/٤/٤ عندما قصدنـــاه ببيته الكريم ، وجلسنا ســـويًا إلى جانبـــه وهو يعطى توجيهاته التي كانت تصبـــب كلها في ضرورة الحرص على أداء الرسالة كاملة من لدى سائر الأعضاء سواء علـــى صعيد المجمع أو صعيد اتحاد المجامع الـــدى استبشر خيرا بأن أكاديمية المملكة المغربيـــة انضمت إليه ...

ولقد لفت نظري في بيته العامر أنـــني وقفت - على مصحف القـــرآن الكـــريم أهداه إليه محمد متولى الشـــعراوي وقـــد حلى الإهداء بهذا الشعر الجميل :

وأنفس ما تهدى إلي من تحبه
كتاب إلى المختار الله أوحاه

وقد كان تعليق أستاذنا علـــى هـــذا الإهداء والمهدى بكلمات عبرت لى عـــن قوة ذاكرته وإصادق إيمانه واعتزازه بهويته. رحمه الله أخيرا عما بذله من أجل أســـرته الصغري والكبرى .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع

من المغرب

فى موكب الخلود

[بكائية عن الدكتور إبراهيم مدكور]

للأستاذ حسن عبد الله القرشى

زَاحموا إنَّما الحَياةُ مَزاحمْ ... وتهاداه مجمع الضاد فذا

وجُدودٌ بيضٌ وأخرى قَوائِمْ ... أيں منه النظير أين المزاحِم ؟

والحَصيفُ الحصيفُ مَنْ صَارَعَ الدَّا ... نصفَ قرنٍ حباه حبة قلب

سَ ومَنْ خَادَنَ العُلَى غيرَ نائمْ ... وضياء العينين غير مساوم

قد يعوقُ الذكيَّ حظٌّ عصىٌّ ... حالما أن يراه فوق السُّماكَيْـ

ويواتي الغبيَّ حظٌّ مُسالِمْ ... ـنِ قويا على اكتسابِ العظَائِمْ

ويعيشُ الخسيسُ لا نَفْعَ فيه ... بدل الجهدَ كي يُشيِّد صرحًا

ويموتُ المرجوُ رَبُّ المكارمْ ... لبناء الفصحى وطيدَ القوائم

إنما تصدعُ القلوبُ لفقدِ النَّـ ... كي يعيدَ الشبابَ للغةِ المثـ

ـدبِ مَنْ خَطَّ للحياةِ دَعائمْ ... ـلى فتعلو على لغات الأعاجم

مَنْ إذا قِيلَ مَنْ فَتىً قيل إبرا ... جاء بعد الأفذاذ من عِلْيَةِ الفكـ

هيمُ، مَنْ طار ذِكْرُهُ في العَوَاصِمْ ... ر إلى مَرْكَنِ النسورِ القشاعم

عبقري والعبقرية تعلو ... واستطال البناء بالجهد والكدْ

ضمن برديه والحظوظ البواسم ... ح بفذٍ جمِ المآثر حازم ا

رائد من كتائبِ العلم أهدى ... * * *

لتراث الآداب أغلى المغانم ... أين منا وقد تغرب عنا

باذخُ الفضل منذ كان فتيا ... من يفك الغموض يجلو الطلاسم؟

عاشقٌ للأباء ماضي العزائم ... مَنْ يُفيض البيانَ عذبا نديا

عاش حصنا للفكر موئل عِلْمٍ ... جوهريا ، يفوق سجع الحمائم؟

يتصبَّى العلياءَ صعبَ التكائم

وعلى وجهه الوضئ تَبَدَّى
عند إطلاله مهابةُ حاكم
لغةَ الضَّادِ عاش يحمى حماها
ويردُّ الأعداءَ وهي غواشم
خُلُقٌ صِيغَ من ظلال النبوا
ت سرىُّ الطيوبِ حُلْوُ النواسم

* * *

من عجاف السنين حلت علينا
سنة وقعها كحز الفلاحم
إذْ فقدنا زين الرجال المرجَّى
من توالت آلاؤه والغنائم
من له دوما السرئ من الرأ
ي ، وفصل الخطاب أبلجَ حاسم
هو في ساحة البلاغة (سَحْبَا
نُ) وفي قمة المكارم (حاتم) !

* * *

لا تقولوا مضى فمازال فينا
همةً تُرتَجَى ورُوحا تقاوِم
هو حَيٌّ فينا بحصب سجايا
ه مطل من شُرْفة الغيبِ باسم
شارقٌ ذكرُهُ وباقٍ سناه
فهو تِرْبُ الخلودِ فرعُ الأكارم
ثم آثاره ، شوامخُ فكرٍ
ناطقاتٌ بمجدِه المتعاظِمْ
وسلامٌ على بقيَّةِ جيلٍ
كلُّهُم وافرُ المفاخرِ عَالِمْ !

حسن عبد الله القرشى
عضو المجمع المراسل
من السعودية

ثانيًا : تأبين الأستاذ الدكتور

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

أقام مؤتمر المجمع حفلاً لتأبين الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية ، في جلسة علنية عُقِدت بدار المجمع في الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٦م .

وكان منهج الحفل على النحو التالي :

١- كلمة الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في افتتاح الجلسة .

٢- كلمة المجمع في تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

أولاً ـ كلمة الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع

في افتتاح الجلسة

أيها السادة:

نجتمع اليوم لتأبين الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع اللغوي الدمشقي ،وعضو مجمعنا العامل من سوريا الشقيقة منذ سنة ١٩٨٦م ، وكنا ننتظر قدومه علينا سنويًا في كُل مؤتمر لمجمعنا لنستمع إلى البحوث اللغوية الخصبة التي كان يحملها إلينا .

وقد أتم تعليمه الابتدائي والثانوي في دمشق ، والتحق بكلية الحقوق في بغداد، وعاد إلى وطنه وعمل محاميًا فترة قصيرة ، ثم التحق بالقضاء ، وله مباحث قانونية كثيرة ، بدأ في نشرها منذ سنة ١٩٥١م ، واختير عضوًا بمجمع دمشق ثم نائبًا لرئيسه .

ومن أهم:" مؤلفاته لغة القانون في الدول العربية"، و"شرح قانون العقوبات" في مجلدين ، وله بحوثه اللغوية المدونة في مجلتي المجمعين الدمشقي والقاهري .

ويتولى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع الدمشقي إلقاء كلمة مجمعنا في تأبينه .

كلمة المجمع في تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

كان الدكتور عدنان الخطيب ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، من أوعية العلم ، كما يقول علماؤنا الأقدمون . وقد تضافرت الأسبابُ والدواعي التي هيّأت له أن تتنوعَ معارفُه، وتغزرَ مادتها .

فقد نشأ في بيت علم وفضل ، فأُلِف أن يحضر مد صباه مجالس العلم التي كانت تُعقد في منزل والده الشيخ عبد القادر الخطيب (١٨٧٤ -١٩٣٢م)، وكان الشيخ من جلّة العلماء ، يتولّى الخطابة في الجامع الأموي (١) . وكان الفتى الناشئ يستمع إلى ما يدور من أحاديث العلماء ومحاوراتهم ، ويعي ما يعي من أقوالهم ومناقشاتهم . وكانت الحركة الوطنية التي تصدّت للمستعمر الغاصب في أوجها ، فكان الحديثُ يتشقق إلى ذكر دعاة النهضة العربية ، وما قاموا به منذ أواخر العهد العثملي ، وما قدّموه من تضحيات ، ثم ما أقدم عليه المستعمر في غدرته المشؤومة يوم ميسلون (١٩٢٠/٧/٢٤م) من القضاء على الحكومة العربية بدمشق ، وما تبع ذلك من نضال الشعب المتواصل ليستخلص حقّه من براثن العدو . وكان الفتى شديد الإنصات والاستماع ، قد ملأ قلبه حبُّ قومه ووطنه ، وبغضُه للاستعمار الغاشم . وظلّت تلك الصورُ التي وعاها فتىً تراجعه ، وتملك عليه نفسه ، حتى تبدّت بعدُ في كتاباته عن الرجال المصلحين ، وعلى رأسهم الشيخُ طاهر الجزائري .

تلقى الدكتور الخطيب علوم اللغة والفقه على جمهرة من علماء دمشق ، وتابع دراسته الثانوية في مدرسة التجهيز الرسمية ، وقد تفتحت نفسُه على حبّ العربية ، وملأته الرغبة في دراستها ، ومطالعة كتبها ، ثم كان للحركة الوطنية أثرُها الواضح على تأجيج حماسته للعربية، إذ رأى في التشبث بها ، والحفاظ عليها وجهًا من وجوه الدفاع عن الهوية العربية ، ومقارعة المستعمر .

---

(١) انظر ترجمته في كتاب : تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (دمشق – ١٩٨٦م) ١ ٤٦٠-٤٦٤

اختار الدكتور الخطيب بعد دراسته الثانوية الالتحاق بكلية الحقوق بجامعة بغداد ، ونال إجازة الحقوق سنة ١٩٤٢م ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٤٧م. ومارس المحاماة حتى نهاية عام ١٩٤٤م. وفي عام ١٩٤٥م تولى القضاء ، وتدرج في مناصبه حتى أصبح مستشاراً في محكمة استئناف دمشق سنة ١٩٥٣م ، وفي عام ١٩٥٤م عُيّن نائباً عامًا في الإدارة المركزية لوزارة العدل، وكان آخر ما تولاه منصب رئيس مجلس الدولة (١٩٦٩ - ١٩٧٤م).

وترك في الدراسات القانونية مؤلفاتٍ هامة ، انصبَّ جلُّها على دراسة القوانين الجزائية وشرحها ، ضمّنها عصارةَ مطالعاته الطويلة ؛ وخلاصة خبرته التي اكتسبها في حياته الوظيفية ، وفي التدريس في كليتي الشريعة والحقوق بجامعة دمشق ، وفي معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

وتجدُ له إلى جانب ذلك المقالات القيّمة التي نشرها في المجلات ، عالج في طائفة منها مباحث هامة في القانون ، وتناول في أخرى جملة من الكتب الحقوقية معرّفًا وناقدًا .

وقد عُرف الدكتور الخطيب في حياته القضائية الطويلة بالنزاهة في المسلك والتقصي في تحري الحق والإنصاف ، والاجتهاد في الرأي ، يستمسك بالعروة الوثقى ، شعارُه كلمةُ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:"اليمينُ والشمال مضلّة ، والوسطى الجادة " (١) فكانت سيرته عَبَقَ المسك ، نقاءً وطيب .

وإن هذا الجانب المشرق من حياة الدكتور الخطيب بشقيه العلمي والمسلكي ليستأهلُ البحث والدراسة المعمقة .

ويطالعنا في حياة الدكتور الخطيب الجانبُ الثاني الذي تجلّى في حبّه العربية حبًّا مَلَكَ عليه نفسه ، فأقبل عليها إقبالَ ظمآن ، يتملّى تراثها ونفائسها .

وقد رأى في مجمع اللغة العربية بدمشق الواحةَ التي يتوقُ إليها فتفيأ ظلالَها. لقد أحب المجمع وتردد عليه منذ شبابه ، وتابع أعماله وشارك في بعضها . وقد ضم ثبت محاضرات المجمع عناوين

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢:٥٠ .

أربع محاضرات له في مجال القانون ، ألقاها في سنوات : ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ (١) ، كما ضمّت مجلة المجمع أول مشاركة له على صفحاتها عام ١٩٤٩م بمقالته : النهضة العربية في العصر الحديث(٢) . وفي هذا ما يُفصح عن تعلق الدكتور الخطيب بالمجمع ، ومتابعته لمسيرته ، وإيمانه بمراميه وأهدافه ، وصلتِه بأعضائه الأوائل حماة العربية ، الثائرين عن حياضها ، الرافعين بناءها السامق ، وعلى رأسهم الأستاذ محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣م) مؤسس المجمع . لقد كان الفقيد رحمه الله مفتونًا بالأستاذ كرد علي وشمائله ، يرى فيه المثل الأعلى الذي طالما رنا إليه ، فأكبَّ على كتبه ، وعدَّ نفسه من تلامذته . وحين أصدر كتابه : (لغة القانون في الدول العربية)(٣) قال في إهدائه : " إلى الأستاذ الجليل محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، إجلالا وتقديرًا " معبّرًا بذلك عمّا يُكنّه لرئيس المجمع من التوقير لمكانته ، والإعجاب بعلمه ، والإكبار لفضله . ثم افتنَّ من بعدُ في الترجمة له ، والإشادة به ، وإظهار مزاياه وفضائله. ومن النعوت التي أضفاها عليه: " الرائد المجمعي الأول في الوطن العربي".

ولما انضم الدكتور الخطيب إلى مجمع الخالدين بدمشق في عام ١٩٦٠م (١٩٦٠/١٠/٦) (٤) لم يكتم ما انتابه من إحساس التهيّب ، ممزوجًا بمشاعر الإجلال والاحترام التي كانت تعتلج في صدره إكبارًا لهذا الصرح الباذخ من صروح العربية ، ولقد عبّر التعبير الحلو الشائق عما كان يخالجه من مشاعر في الكلمة التي ألقاها في حفل استقباله . قال: " فإذا تماجدت دمشق كان هذا المجمع العظيم من مفاخرها الخالدة على الدهر ، الباقية بقاء العربية ... إني ما نظرتُ إلى هذا الصرح الشامخ من صروح العربية في نهضتها الحديثة إلا حنيتُ الرأس إجلالا لعظمته ، وإكبارًا لجهود بُناته الأبطال ، حتى إذا ما دعوتموني إلى هذا اليوم المشهود أخذتني الهيبةُ من الوقوف أمامكم ، وتملكتني رهبة الانضمام إلى صفوفكم، رهبةٌ يشعر بها من يصّعّد في السماء"(٥).

---

(١) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ .

(٢) مجلة المجمع ، مج ٢٤ (١٩٤٩م) : ٤٧٠ - ٤٧٩ ، ٦١٢ - ٦٣٦ .

(٣) صدرت طبعته الثانية بدمشق عام ١٩٥٢م .

(٤) مجلة المجمع بدمشق ، مج ٣٦ (١٩٦١م) ١:١٥١ .

(٥) مجلة المجمع بدمشق ، مج ٣٦ (١٩٦١م) ٢:٣٣٢ .

لقد تبيّن ضخامة المهمة التي عليه أن ينهـــض بها ، فوقـــف على المجمع جُـــلّ اهتمامه ونشاطه ، وجدَّ الجدّ كله ، وقام بأعماله على خير وجه ، حتى أوفى علـــى الغاية .

أكبَّ على كتب العربية ، ينهل من ينابيـــعها العذب الزّلال ، ثم جال في ميادينها ، وأشرع قلمه تبيان خصائصها، والكشف عن أسرارها ، وإصلاح ما بدا له من أغلاط وقـــع فيـــها البـــاحثون ، والتأليف في موضوعات تضيف جديـــدًا أو تنير غامضًا . وكانت غيرتـــه علـــى الفصحى بالغة ، فإذا ما بدا له أن أحـــدًا مسّها بسوء ، من مثل معارضته تدريـــس العلوم والطب بالعربية في الجامعـات ، أو دعوته إلى إحلال اللهجات المحلية محـــلّ العربية هاج هائجه ، على ما عُرف بـــه من هدوء النفس ، وكظم الغيظ .

تناولت كتـــبُ الفقيـــد ومقالاتـــه موضوعاتٍ شتى . ومن أبرز مؤلفاتـــه : كتابه : "المعجم العـــربي بـــين المـــاضي والحاضر" ، وكتابه : "المعجـــم العـــربي ونظرات في المعجم الوسيط" ، وكتابـــه : "لغة القانون في الدول العربية ".

وكتابُ "المعجم العربي بين المـــاضي والحاضر" (١) هو مجموعة المحـــاضرات التي ألقاها الدكتور الخطيب على قســـم الدراسات الأدبية واللغويـــة في معـــهد البحوث والدراسات العربيـــة . وهـــو قسمان: تحدث في أولهما عن أمـــهات المعاجم العربية في الماضي ، واستعرض في الثاني المعاجم المؤلفة في العصر الحديـــث، وختم كتابه بعرض تصـــوره للمعجـــم العربي الحديث .

أما كتاب "المعجم العربي ونظـــرات في المعجم الوسيط" (٢) فهو كتابـــان : أولهما: "المعجم العربي"،وهو يكاد يكون النواة الأولى لكتابه : "المعجم العربي بـــين الماضي والحاضر" المذكور آنفًا . ويضم ثانيهما وهو "نظرات في المعجـــم الوسيط" جملة ملاحظه على المعجـــم ، وقد ذكر المشرفون على طبعة المعجـــم الوسيط الثانية أنهم أفادوا من بعض مـــا أورده الدكتور الخطيب .

ويأتي كتابه : "لغة القانون في الدول العربية "، محاولةً جادة للارتفاع بلغـــة القانون في البلاد العربية : أسلوبًا ودقـــة وتوحيدًا .

---

(١) صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ١٩٦٦-١٩٦٧م).

(٢) صدر عن المجمع العلمي العربي بدمشق – ١٩٦٥م .

وللأستاذ الخطيب المقالات الكثيرة التي حبّرها في مباحث لعوية مختلفة،وفي التعريف بالكتب ونقدها ، ينسرب فيها جميعًا تلك الروح الصافية التي أحبّت العروبة والعربية،وأشادت بالنهضة ورجالاتها.

كان ، رحمه الله ، يردد مع أستاذه محمد كرد علي، نصيحة الشيخ طاهر الجزائري :" ادكروا مَنْ عندكم من الرجال .. ودوّنوا أسماءهم في جريدة لئلا تنسَوْهم ، ونوّهوا بهم عند كل سانحة ، واحرصوا عليهم حرصكم على أعز عزيز... " (١)

واستجابة لإعجابه الشديد بالشيخ طاهر الجزائري أحد رجال النهضة والإصلاح البارزين في الشام فقد ألّف كتابه : "الشيخ طاهر الجزائري" (٢) ، كشف فيه عن أعمال هذا المصلح الفذّ الذي كان نبراسًا يضيء في ليل مظلم ، وبيَّن آثاره العميقة في نفوس مريديه وطلابه ، فامتدوا به ، وساروا على نهجه، دفاعًا عن الهوية العربية ، وتأصيلا لها ، ودعوة إلى الإصلاح والنهوض حتى تستعيد الأمة العربية مكانتها السامية .

يقول الأستاذ محمد كرد علي في مطلع كتابه : (كنوز الأجداد) منوّهًا به ، مهديًا كتابه إليه ، اعترافًا بفضله ، وتقديرًا لعمله :" إلى روح من أشرب قلبي حبَّ العرب ، وهداني إلى البحث في كتبهم ، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، أهدي كتابي : كنوز الأجداد " (٣)

وإنك لتلمحُ في كتب الفقيد ومقالاته تذكيرًا بالنهضة العربية ورجالاتها،وإنما هي الدعوةُ إلى الاقتداء بهم،ومتابعة طريقهم ليشرق فجر العروبة الصادق ، وتتبوأ الأمةُ العربية منزلتها الرفيعة بين الأمم .

وتلاقت في نفس الفقيد خصالٌ حبّبت إليه الحديث عن المجمع والمجمعيين يأتي في مقدمتها حبُّه للعربية رمز هويتنا ، ومستودع ذخائرنا الفكرية والثقافية ، وحرصُه على تخليد الرجال المصلحين الذين قدموا لأمتهم خير ما عندهم ، ووفاؤه لاخوانه الذين ساروا في الدرب الذي آثر أن يسير فيه ، وعملوا ما بوسعهم لتظلَّ العربيةُ المبينةُ لغة العصر ، تلبّي ما يراد منها ، وتستجيبُ لمطالب الحياة الجديدة .

وإنه ليبهرك هذا القدر من تراجم الرجال المجمعيين الذي صوَّرتهم ريشة الفقيد الدي ررق الموهبة ، فإذا هو ينفذ

---

(١) المذكرات لمحمد كرد علي ٢٧٤.١ .

(٢) صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ١٩٧١م) .

(٣) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق – ١٩٥٠م) ، الشيخ طاهر الجزائري ٣٠ .

بنظراته الثاقبة إلى الصفات والسجايا الأصيلة لمن يتحدث عنه ، وتُسعفه سَعة الاطلاع فإذا هو يستقصي أحوال المترجم له وأعماله ، لا يكاد يغادر منها شيئًا .

ترجم للأعضاء المؤسسين الثمانية ، ومضى على سنَه يترجم لمن فقدنا من المجمعيين ، من أمثال الأمير مصطفى الشهابي ، والدكتور شكري فيصل ، والأستاذ عبد الله كنون ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ ساطع الحصري، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور أحمد عبد الستار الجواري .. والأمل أن تجمع هذه التراجم التي ترسم صورة حية لهذه المرحلة الهامة من حياتنا اللغوية والثقافية منذ مطلع القرن العشرين.

هذا ولا يفوتني أن أشير إلى أن جلّ هذه التراجم قد نشر على صفحات مجلة المجمع بدمشق . كان الفقيد رحمه الله طموحًا دا نفسٍ تواقة إلى الكمال ، أراد أن يتحدث عن مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عامًا ، فأعدَّ العدّة ، ووضع الخطّة ليترحم لخمسة وأربعين عضوًا من أعضاء المجمع ، وليلحق بكتابه ثبتًا بأسماء أعضاء المجمع المراسلين، ومجموعة القوانين والأنظمة المتعلقة بالمجمع ، ومسردًا يضمّ أسماء مطبوعات المجمع في خمسين عامًا .

ولكن الشواغل المتزاحمة لم تسمح له إلا بتسطير القسم الأول من الكتاب الذي تناول فيه سير ثمانية من الأعضاء هم الأعضاء المؤسسون (١) ، ولم يسعفه الوقت ليكمل ما بدأ ، وكان هو الأقدر على صنع ذلك لصلته الوثيقة بالمجمع ، وعنايته البالغة بضم النصوص والوثائق الخاصة بالمترجمين ، وتنسيقها لتكون دائمًا بين يديه ، تلبيه في عمله .

ولعل في هذا تفسير ما نقع عليه أحيانًا في آثاره من وعده بأشياء لم نرها ، فقد ألقى كلمة في الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة الأستاذ محمد كرد علي تناول فيها كتابه : "المذكرات" . وقد اجتزأ بالمقدمة لضيق الوقت ، ووعد بنشر بحثه كاملاً في كتاب مستقل (٢). وكُنا نودّ لو ظهر الكتاب ، لأن المذكرات قد أثارت ضجة كبيرة عند ظهورها ، واختلف الناس في تقديرها وتقويمها أشد الاختلاف . وكان الدكتور الخطيب أقدر الناس على بيان

(١) مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا (مطبوعات المجمع ١٩٦٩م) ١٥-١٦

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٢ (١٩٧٧م) ١، ٩٧ ، هـ ١ .

الدواعي والأسباب التي تفسر كثيرًا من مواقف الأستاذ محمد كرد علي في مذكراته .

وآخر ما أورده في هذا الصدد أن الفقيد رحمه الله ، عزم على أن يؤلف كتابًا يتحدث فيه عن مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسة وسبعين عامًا ، ليقدّمه في الحفل التذكاري الذي يقيمه المجمع في (٢٦ - ١٩٩٥/١١/٢٩م) بمناسبة مرور خمسة وسبعين عامًا على إنشائه .

وقد ذكر لنا في آخر جلسة من جلسات المجمع التي حضرها أنه أنجز مؤلفه وهو في سبيل تقديمه للطباعة . وفاجأته المنية ، وبحثنا عن مخطوطة الكتاب فلم نقع لها على أثر . وإنا لنأمل أن تكشف لنا قادماتُ الأيام ما خفي علينا من أمرها .

إن الحديث عن الأستاذ الخطيب المجمعي حديث شائق ذو شجون . وإن سيرته المجمعية وآثاره ومنجزاته لجديرة أن تجذب الدارسين ليمضوا في رياضها الوقت الطيب ، باحثين منقبين ، وسيجنون خير الجني في تجوالهم وبحثهم ، ويقدمون الكثير المفيد الذي يغني المكتبة العربية ، ويضيف إليها الجديد .

أمضى الأستاذ الخطيب في رحاب مجمع الخالدين بدمشق خمسًا وثلاثين سنة، عمل فيها دائبًا دون كلال ، ما تأخر عن بذل ، ولا توقف عن عطاء . ولقد قضى يومه الأخير (يوم الأحد ١٤١٦/٤/٢٩هـ -١٩٩٥/٩/٢٤م)(١) بيننا في المجمع كعادته في المواظبة على الحضور كل يوم ، والمشاركة في أعمال المجمع ، وعاد ظهرًا إلى منزله . ولم يَدُرْ في خَلَد أحدٍ منا أنه الفراق الأخير ، وأن المنية ستفجعنا بعد ساعات بفقيدنا الغالي فتختطفه دون إنذار أو إشارة .

لقد كانت الفجيعة فيه كبيرة ، جلّلت النفوس بالحزن والأسى ، وكانت الخسارة بفقده بالغة ، ملأت القلوب حسرةً وأسفًا . وفارقنا ، رحمه الله ، أشدَّ ما كان تصميمًا وعزمًا على أن ينجز ما كان عقد عليه النية من استكمالٍ لموضوعات سابقة كان قد بدأها ، واستئناف لموضوعات تجمعت لديه مادتُها ، ليسطر بذلك خلاصة ما انتهى إليه في حياة حافلة بالدرس والاطلاع والعطاء .

وبعد ، فقد كان من أحب الأشياء إلى فقيدنا ، وآثرها عنده حضور مؤتمر

---

(١) وكانت ولادة الأستاذ الخطيب في (١٣٣٢/٤/١٢هـ - ١٩١٤/٣/٨م)

مجمع اللغة العربية بالقاهرة . كان ينتظر الموعد انتظار مشوق ، ويُعدُّ له ويهيّئ . وكانت أيامه في القاهرة ربيع عمره ، يَلْقى زملاءه وأصدقاءه في المجمع ، يجد المتعة والراحة في مجالستهم ، والتحدث إليهم ، ليعود إلى دمشق بذكريات جميلة تكون له خير زاد .

وإنه ليذكرُ حضوره الأول المجمع والفرحُ يغمر قلبه فيقول : " وكان مما أنعم الله به عليّ أن كنتُ واحدًا ممن حضروا سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦١م) المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، وجلستُ فيه إلى جانب رئيس مجمع دمشق الأمير مصطفى الشهابي ، وعنه اقتبستُ إلزامه نفسه بمواعيد الجلسات ،والانتباه إلى دقائق ما يدور بين أعضاء المؤتمر من مناقشات ، وتسجيل ما ينتهي إليه الرأي بينهم ، وما يتمُّ - عند اختلافهم - اتفاق الأكثرية عليه " (١).

وهو يأسَى أشد الأسَى لأن أسبابًا قاهرة لم تُتح له حضور المؤتمر السنوي للمجمع بانتظام ، حتى كانت سنة ١٣٨٩هـ (١٩٧٠م) فانتظم حضوره " بفضلٍ من إخلاص وحنكة الرئيس الجليل الدكتور إبراهيم مدكور" (٢).

وقد أخذ نفسه بتسجيل وقائع المؤتمر بكل الدقة والعناية بدءا من الدورة السابعة والثلاثين (١٩٧١م) . وكان ينشر ما سجل في مجلة مجمع دمشق تارة، وفي مجلة مجمع عمّان تارة أخرى، وقد يجمع بينهما . ولما احتفل مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعيده الذهبي عام ١٩٨٤م سارع الدكتور الخطيب فنشر كتابًا بعنوان : "العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية (١٩٣٤ - ١٩٨٤م)" ضمّنه وقائع احتفالات المجمع بعيده الذهبي ، ثم وقائع مؤتمرات المجمع لأربع عشرة دورة مجمعية خلت (الدورة المجمعية ١٩٧١/٣٧م - الدورة المجمعية ١٩٨٤/٥٠م) . وأورد في الفصل الأخير (السادس عشر) مسردًا لمقررات مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا .

وكان الدكتور الخطيب من شهود الجلسة التي عقدت بمنزل الدكتور طه حسين وبرياسته،وتمّ بها تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٧١م (في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ الموافق

(١) العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية للدكتور عدنان الخطيب : ٩ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها

١٣ آيار ١٩٧١م) (١) ، وانتُخب أمينًا عامًا مساعدًا للاتحاد ، فحاز ثقة زملائه، وظلّ في منصبه طوال حياته .

انضمّ الدكتور الخطيب إلى مجمع الخالدين بالقاهرة ، وكان أحد الأعضاء العاملين الثمانية الذين استقبلهم المجمع في العاشر من مارس(آذار)١٩٨٦م، في أثناء انعقاد مؤتمره السنوي في دورته الثانية والخمسين . وقد افتتح حفل الاستقبال الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع رحمه الله،وألقى الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام كلمة المجمع في استقبال الأعضاء الجدد، كذلك فقد ألقى كلمة الأعضاء الجدد الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق .

وتوثّقت صلةُ الأستاذ الخطيب بالمجمع ، فحرص الحرص كله ألا يتخلف عن شهود مؤتمراته . وكان يُلزم نفسه أن يقدم بحثًا من بحوث المؤتمر . وقد وقع عليه الاختيار غير مرة ليلقي كلمة الوفود المشاركة .

ومن كلماته التي نشرتها مجلة المجمع بالقاهرة . قصة دخول العلمانية في المعجم العربي ، والمعجم العربي الوسيط، والأرقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه (صلة الكلام في تسوية الأرقام)، والعامية عاميات، والوالجون حمأتها أنماط، وألفاظ ومعانٍ ليست في الفصحى ولكنها من الفصيح ، وعود على بدء وقد آن للأصوات الطيبة أن يسمع صداها.

وقد شارك في تأبين الأستاذ حسني سبح ، والأستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسيني ، والأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في حفلات التأبين التي أقامها مجمع القاهرة . (٢)

لقد أمضى الدكتور الخطيب في كنف مجمع الخالدين بالقاهرة تسع سنوات ونيّفًا ، كانت حافلة بالعمل والنشاط ، وخلّف في نفوس زملائه وأصدقائه وعارفيه ذكرياتٍ تنفح طيبًا وتضوع أريجًا .

رحم الله الفقيد الرحمة الواسعة ، وأنزله منازل الأبرار المتقين .

رحم الله صاحبي وخديني
رحمة تفتدي وأخرى تروح

---

(١) اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في خمس عشرة سنة ١ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ج ٢٢- ١٩٦٧م ، ح ٦٠ - مايو ١٩٨٧ ، ح ٦١ - نوفمبر ١٩٨٧م ، ح٦٢- مايو ١٩٨٨م ، ح ٦٤ - مايو ١٩٨٩م ، ح ٦٦ - مايو ١٩٩٠م ، ح ٧٠ - مايو ١٩٩٢م ، ح ٧٢ - مايو ١٩٩٣م ، ح ٧٣ - نوفمبر ١٩٩٣م

لا رال مسك وريحانٌ له أرجٌ يَسقي صَداك وممساه ومصبَحَهُ
على صداك بصافي اللون سلسال رِفْهًا ورَمْسُك محفوفٌ بأظلالِ

شاكر الفحام
عضو المجمع
من سورية

ثالثًا : تأبين الأستاذ الدكتور

حسين مؤنس

عضو المجمع

أقام المجمع حفلاً لتأبين الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع الراحل ، في جلسة علنية عُقِدت بدار المجمع في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١١ من المحرم سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٩ من مايو سنة ١٩٩٦م.

وحضر هذا الحفل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس المجمع ، والأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع ، والسادة أعضاء المجمع .

كما حضره لفيف من رجالات الثقافة والتعليم العالي بمصر والعالم العربي ، ولفيف من رجالات الصحافة والإذاعة والتلفزيون .

وكان منهج الحفل على النحو التالي :

١- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع.

٢- كلمة المجمع في تأبين الفقيد للأستاذ الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع .

٣- كلمة الأسرة .

٤- كلمة الختام للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

فى تأبين الأستاذ الدكتور حسين مؤنس

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع

سيداتى ، سادتى:

باسم المجمع أشكر لحضراتكم تلبيتكم لدعوتنا، وكريم مواساتكم فى تأبين زميل جليل ، هو المغفور له الأستاذ الدكتور حسين مؤنس . وقد كانت وفاته الفجائية صدمة كبيرة هزت أعصاب المجمعيين، والمؤرخين، والعلماء فى مصر وجميع البلاد العربية ، فالفجيعة فيه كانت عامة شاملة .

ومن سنن المجمع أن يقيم حفل تأبين للراحلين من أعضائه، تكريمًا لذكراهم الطيبة وتنويهًا بما نهضوا به من جهود علمية صادقة فى خدمة العربية والعلم والأدب . وإني أبكى أخًا من إخواني الأقربين منذ أيام الدراسة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعلمًا شامخًا من أعلام مصر فى القرن العشرين ، وركنًا من أركان نهضتنا العلمية والفكرية والأدبية .

وقد ألّف ونشر – رحمه الله ـ المجلدات الضخام فى السيرة النبوية العطرة ، وفى علم الإسلام، وخصائصه، وثقافته ،وحضارته ، وفى تاريخ الإسلام وفتوحه السلمية فى إفريقيا وآسيا، وفى تاريخ المغرب العربى والأندلس الإسلامية . ومن مصنفاته تراث مصر القديمة ، والشرق الإسلامي فى العصر الحديث ، ومصر ورسالتها وعلاقتها بالعرب والدول الأفريقية والبحر المتوسط، ونور الدين بطل الحروب الصليبية، والحضارة ونشأتها ومسيرتها فى الأمم وفى العصر الحديث ، ووضع أطلس تاريخ الإسلام ، وهو دائرة معارف كبرى تاريخية وجغرافية تنوء بها العصبة أولو القوة .

وشارك الدكتور حسين مؤنس – منذ بواكير حياته – فى ترجمة الأعمال العلمية العربية القيمة ، من ذلك القسم الخاص بإسبانيا والبرتغال فى كتاب "تراث الإسلام" وكتاب " تاريخ الفكر الأندلسي" لبالنثيا ، وهو موسوعة كبيرة فى الفكر الأندلسي من جميع جوانبه الثقافية والعلمية والأدبية ، مع بيان أثر الفكر الأندلسي أدبًا وفلسفة وعلمًا فى الفكر الإسباني والأوربي.

وحين جمع بين أستاذيته فى كلية الآداب وإدارته للثقافة فى وزارة التعليم أنشأ

مشروعه المشهور "الألف كتاب" . ليزود الشباب المصري بموادَّ كثيرةٍ مترجمة من المعرفة العامة ونشرت من هذا المشروع مئات من الكتب النافعة المفيدة . وترجم بعض مسرحيات إسبانية . وله تحقيقات علمية قيمة لطائفة مهمة من كتب التراث العربي والأندلسي .

وحين أسس لمصر معهد الدراسات الإسلامية بمدريد أنشأ له مجلة علمية تتناول الأندلس فكرًا وتاريخًا وأدبًا .

وكان الدكتور حسين مؤنس أديبًا بارعًا، وله مسرحيات وأقاصيص متنوعة صوَّر فيها قضايا قومه تصويرًا بديعًا . ومنذ أن كان طالبًا فى كلية الآداب يكتب فى الصحف والمجلات مقالات لا تكاد تحصى. ورأس تحرير مجلة الهلال سنوات متعاقبة ، وكان له مقال أسبوعي فى مجلة أكتوبر ظل يكتبه إلى أن اختاره الله إلى جواره .

كلمة المجمع

في تأبين الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع

للأستاذ الدكتور محمود على مكى عضو المجمع

كان- رحمه الله - أمة وحده ! كان هذا هو ما يدور بخاطرى وأنا ألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة ، وهو مُسَجًّى على فراشه . لم تكن تعلو وجهه تلك الصفرة وذلك الشحوب اللذان تتشح بهما وجوه الموتى ، بل كان وجهه ناضراً ومُوَرداً كالعهد به وهو فى عالم الأحياء ... وكانت تعلو شفتيه ابتسامة ، وكأنها تعبير عن الرضا والراحة بعد حياة قضاها طولاً وعرضًا وأدى خلالها رسالته فأحسن الأداء.

فى لحظات تواردت على مخيلتى ذكريات علاقة حميمة اتصلت بيننا على مدى ما يقرب من نصف قرن . كانت المشاهد والصور تتزاحم فى فكرى كأنها شريط سينمائي أُسيء تقطيع فصوله ، فاختلطت فيه صور قريبة العهد، لا يتجاوز عمرها أياماً، بصور أخرى ترجع إلى سنوات طويلة مضت ، ولكنَّها كانت جميعًا قريبة إلى النفس محببة إلى القلب .

كانت صلتى المباشرة به ترجع إلى منتصف الأربعينيات حينما جلست إليه مجلس التلميذ فى محاضرات التاريخ الإسلامى . وكانت مادة التاريخ مقسومة بينه وبين الدكتور حسن إبراهيم حسن ، فقد كان الدكتور حسن إبراهيم يدرس لنا تاريخ الدولة العباسية ، وكان الدكتور مؤنس يحاضرنا فى تاريخ مصر الإسلامية . وكانت هذه المادة مشتركة بين طلبة قسم التاريخ وقسم اللغة العربية الذى كنت أنتمي إليه .

<u>بين الصحافة والتاريخ:</u>

كثيرًا ما كان يراودنى - وأنا أستمع إلى محاضراته -سؤال لم أهتد إلى جوابه إلا بعد رمن لا أذكر مدى طوله . فقد كنت أقرأ - وأنا مازلت فى المرحلة الثانوية فى أقصى الصعيد - لكاتب يدعى حسين مؤنس ينشر مقالاته فى مجلة " الاثنين " الأسبوعية، التى كانت تصدرها دار " الهلال " . كان كاتبا رشيق العبارة يتناول بالنقد بعض

جوانب حياتنا وعيوب مجتمعنا فى فكاهة رقيقة وسخرية غير جارحة . وكنت أتلبع تلك المقالات فى شغف، إذ كانت أشبه بما كان القدماء يدعونه " السهل الممتنع " ، من بساطة تشد إليها القارئ، وخفة ظل تستحوذ على اهتمامه .

أيكون هذا الكاتب الصحفي هو نفسه ذلك الأستاذ المتخصص الذى يحمل طلابه على الجوار والمناقشة، ثم لا يبخل عليهم بعد نهاية المحاضرة بجهد أو وقت لكى يوجههم ويجيب عن أسئلتهم رفيقًا بهم حانيًا عليهم؟ أم أنهما شخصان مختلفان جمع بينهما تماثل الأسماء ؟ ومضى وقت غير قليل قبل أن أعرف أن الاسمين لشخص واحد . وكان ذلك أول مظهر أكتشفه من مظاهر تنوع الثقافة وتعدد الاهتمامات فى شخصية حسين مؤنس .

وكان المظهر الثانى هو ما تبين لى فى أثناء العطلة الصيفية لنفس السنة الدراسية، التى كان حسين مؤنس يلقى علينا فيها محاضراته حول مصر الإسلامية . وكنت أقضى هذه العطلة فى بلدى " قنا " فى جوف الصعيد . وكانت فى دارنا مكتبة غنية كانت تشتمل على عدد كبير من الكتب الأدبية والتاريخية مما كان يعنى بجمعه أخي الأكبر رحمه الله . وبين هذه الكتبْ إذا بى أعثر على مجلد ضخم مطبوع على ما أذكر فى سنة ١٩٣٤م وهو بعنوان " الشرق الإسلامى فى العصر الحديث " من تأليف حسين مؤنس . وعرفت أن هذا الكتاب كان رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الماجستير ، ولعله كان أول كتبه فى ميدان الدراسات التاريخية ، وبعد شهور إذا بى ألتقى فى مكتبة جامعة القاهرة بكتاب آخر هو " فتح العرب للمغرب " لمؤنس أيضا .وهو رسالته لنيل درجة الدكتوراه، وتاريخ نشره هو عام ١٩٤٧م، ثم بدراسة أخرى منشورة له فى حوليات كلية الآداب بجامعة القاهرة فى سنة ١٩٤٨م، وكانت باللغة الفرنسية وموضوعها " سقوط الخلافة الأموية فى قرطبة " . فكان عجبى يزداد من هذا الأستاذ الجامعى الذى يدرس تاريخ مصر الإسلامية، ويكتب فى تاريخ الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ،وينتقل بعد ذلك إلى تاريخ المغرب فى بداية حياته الإسلامية ، ثم يَثِبُ إلى الأندلس فيتحدث عن حقبة مضطربة من تاريخها العربى .

وهو فى ذلك يراوح فى الكتابة بين العربية والفرنسية ، ويضيف إلى كل دلك كتابات يصعب تصنيفها ، فهى بين المقال الاجتماعي واللوحة القصصية والفكاهة الساخرة .

الأندلس : هواه الأول :

ومضت على ذلك سنوات تخرجت خلالها في كلية الآداب ، ثم أوفدت فى سنة ١٩٥٠م فى البعثة الأولى التى اختارها الدكتور طه حسين أثناء توليه لوزارة المعارف؛للدراسة فى إسبانيا، وذلك بمناسبة افتتاح المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد . وهناك علمت أن فكرة إنشاء هذا المعهد - وهو المؤسسة العلمية الوحيدة لنا فى الخارج - ترددت فى ذهن رائد ثقافتنا العظيم منذ سنة ١٩٣٨م حينما أصدر كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " ، ولكن الفكرة لم تتجسم فى هيئة مشروع مكتمل إلا بفضل مذكرة كتبها حسين مؤنس فى أوائل الأربعينيات ، وذلك بعد زيارة كان قد قام بها إلى إسبانيا فى صيف سنة ١٩٤٠م ، وكانت الحرب الأهلية الإسبانية قد وضعت أوزارها قبل ذلك بشهور، والخراب يعم أنحاء البلاد . ولكنَّ مؤنسًا كان يرى ببعد نظره أن من مصلحة بلادنا توثيق علاقاتنا بهذا القطر الذى عاش أسلافنا العرب فى رحابه نحوًا من عشرة قرون . على أن أول مدير لذلك المعهد الذى افتتحه طه حسين سنة ١٩٥٠م كان أستاذنا الفاضل محمد عبد الهادى أبو ريدة أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة ، وبعد سنتين قامت ثورة يوليه ١٩٥٢م ، فأتى إلينا مدير جديد هو على سامى النشار الذى ولى إدارة المعهد سنة واحدة . ثم إذا بحسين مؤنس يأتى إلى مدريد فى السنة التالية ، فيتولى إدارة المعهد سنةً أخرى (بين ١٩٥٤ و ١٩٩٥م) . وعلى الرغم من قِصَر هذه المدة، فقد كانت خيرًا وبركة على المعهد وعلى العاملين فيه من أمثالنا من الطلبة، الذين كانوا يعدون رسائلهم لنيل الدكتوراه . فقد كان مؤنس خير عون لنا للمضيِّ فى عملنا ،وجازيناه خيرًا بخير ،.فعاوناه على استكمال مكتبة المعهد حتى أصبحت من أغنى المكتبات العربية فى إسبانيا ، وعلى تحرير العدد الثانى من مجلة المعهد التى لم تلبث أن عُدَّت من خير المجلات الأكاديمية فى أوربا بقسميها: العربى والأوربى ، وكان مؤنس بالخبرة التى

ورثها عن عمله فى الصحافة قد أرسى لمجلة المعهد من التقاليد ما أصبح ضوابطَ متبعةً فيما بعد، سواء فى إخراجها وتبويبها ، أو فى محتوى مادتها العلمية التى حرص على أن تكون فى أرفع مستوى . ومن هنا خف إلى الاشتراك فى تحريرها عدد من كبار المستشرقين الإسبان والأوربيين . ولم يسر مؤنس بأسًا فى أن يفسح صفحات المجلة لنا، وكنا لا نزال نُعدُّ رسائلنا الجامعية ، ففى هذا العدد الثانى نشرت أول بحث لى حول " التشيع فى الأندلس " بالإضافة إلى الاشتراك فى باب نقد الكتب . لم يطل مقام حسين مؤنس فى إسبانيا ، فهو لم يتجاوز سنة واحدة ، ولكن ما أنجزه خلال هذا الزمن اليسير جعله دائم التطلع إلى إكمال ما بدأه هناك ... وقد صوَّر حنينَه إلى هذه البلاد قولُه فى مقدمة كتابه " رحلة الأندلس " :" منذ ذلك الحين - يعنى زيارته الأولى لإسبانيا سنة ١٩٤٠م - لم يخرج الأندلس من خاطرى أبدًا : إذا كنت فيه فأنا بين آثاره ومغانيه ، وإذا كنت بعيدًا عنه فأنا مع تاريخه أتأمله وأستوحيه "

فى مصر : مشروع الألف كتاب :

فى سنة ١٩٥٥م يعود مؤنس إلى مصر ، فتعهد إليه وزارة التربية بما كان يسمى إدارة الثقافة ، وكانت إدارة كبيرة تتبعها إدارات مختلفة للنشر والترجمة والتعاون العربى والعلاقات الثقافية الخارجية . ومنذ كان أيسر على حسين مؤنس وأدعى إلى راحته أن يظل فى هذا المنصب الكبير موظفًا مرموقًا، مثل غيره من الموظفين فى انتظار الترقية إلى وكيل وزارة ... غير أنه كان طرازًا آخر من العاملين فى الدولة : كانت راحته فى تعبه ، وجهده أشبه بالمتنبى الذى يقول: إنه جوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجِمام (أى الراحة) ، فهو يحلم دائمًا بعمل كبير يعود بالخير على مجتمعه ووطنه ... ومن هنا انبثق من فكره مشروع "الألف كتاب " فقد كان يرى أن الأمة - أى أمة - لا تنهض إلا بالثقافة فهي حق للجميع. وإذا كان أستاذه طه حسين قد أعلن من قبلُ- فى مقولة مشهورة -أن التعليم مثل الماء والهواء، وأن من حق كل فرد أن ينال قسطه من التعليم؛ فإن مؤنسًا كان يرى أن الثقافة أيضًا حق لكل مواطن وأن واجب الدولة هو أن توفر لكل فرد

حظًا من التثقف، تيسره لـــه. وتجعلـــه فى متناول يده بأيسر مؤونة .

وهكذا شرع مؤنس فى إعداد هذا المشروع الضخم : أن ينشر ألف كتاب فى الســـنة، أى بمعدل نحو ثلاثة كتب فى اليوم الواحد، على أن تتناول هذه الكتب - ما بين مؤلف ومترجم - كل ما يعين على بناء المصـــرى الجدير بـــأن يواكـــب حضـــارة القـــرن العشرين.. وتحولت إدارة الثقافة فى ظـــل المشروع الكبير إلى خلية نحل : الموظفـــون فيها يعملون ليل نهار ، ومعهم عاملون من خارج الإدارة ... بعضهم عاكفون علـــى إعداد قوائم بالكتب المختارة،وعلى تكليف المؤلفين والمترجمين ، وآخرون للتعاقد مـــع دور النشر أو المطابع مع إلزام أصحابها بأن تكون الكتب فى متناول الجميع بقـــروش معدودة . وبعد شهور قليلة آتـــت هـــذه الجهود أكُلَها ، فإذا بالشارع المصرى يمتلئ بهذه الكتب فى طبعات رخيصة الثمن تسد حاجة الجمهور إلى المعرفة بكل ألوانهـــا . وإذا بهذا العمل الجليل الذى أطلق مؤســـس شرارته الأولى يصبح مَعلمًا من أهم المعـــالم المضيئة فى مصر فى أواخر الخمسينيات .

وكنت - بعدَ أن أنهيت دراستى فى مدريـــد بنيل درجة الدكتواره- واحدًا من معـــاونى مؤنس فى إعداد هذا المشروع ، غير أنـــه رأى بعد ذلك أن من الخـــير لمعـــهدنا فى مدريد أن أعود إليه لكى أواصل المســـيرة التى بدأها هناك ، فـــانتقلتُ إلى إســـبانيا وكيلاً للمعهد قائمًا بعمل المدير ، فقـــد كانت درجتى الوظيفيـــة - بالإضافـــة إلى صغر السن - لا تسمح بأن أتـــولى هـــذا المنصب بصفة رسمية . وكـــان علـــىَّ أن أواصل هناك العمل فى ضوء الخطة الـــتى كان قد رسمها مؤنس أثناء إدارتـــه الأولى للمعهد .

ظل حسين مؤنس فى إدارة الثقافة ثـــلاث سنوات حقق خلالها من المشروعات - ولم نذكر إلا واحدًا منها - ما لم يتحقـــق فى هذه الإدارة من قبل، على مدى ســـنوات طوال، على أنه كان لا يـــزال مرتبـــطًا بالأندلس وبمعهد مدريد يرى فيـــه - إلى جانب رسالته العلمية الأكاديمية - مركـــزًا يربط بين العالم العربى و العالم المنبثق مـــن إسبانيا، أى بلاد أمريكا اللاتينية الناطقـــة بالإسبانية . ومن هنا كانت رحلته الطويلة التى كلفته بها مصلحة الاســـتعلامات، فى

أوائل سنة ١٩٥٧م؛ لزيارة هـــذه البـــلاد وإنشاء عدد من المراكز الثقافيـــة فيـــها . وكانت جولة جاب فيها تلك القارة الهائلة الاتساع من المكسيك إلى شـــيلى مـــروراً بالإكوادور وبيرو وبوجوتا ، وفى كلٍّ مِـــن عواصم هذه البلاد أنشأ مع زعماء الجاليـــة العربية بها مركزًا أو معهدًا ثقافيًّا يكـــون على صلة بمعهدنا فى مدريد .

الأنـــدلـــس مـــن جـــديـــد :

لعل حسين مؤنس كان يشعر بالرضا بعـــد إنجازه الكبير فى إدارة الثقافة ، غير أن أداءه المتمـــيز فى هـــذه الإدارة لم ينســـه أرض الأندلس التى ارتبط بها منذ زيارتـــه الأولى فى سنة ١٩٤٠م ، وهكذا عاوده الحنين إلى هواه الأول ، وكأنه ينشد مـــع شـــاعرنا القديم :

نَقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شِئتَ مع الهوى
ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

ومن هنا لم يتردد فى العـــودة إلى مدريـــد ليكون مديرًا لمعهدنا من جديد فى ســـنة ١٩٥٨م، وظل فى هذا المنصب حتى بلوغه سن التقاعد فى سنة ١٩٦٩م . وبقيت معه وكيلاً للمعهد حتى سنة ١٩٦٥م . ولعـــل هذه السنوات الاثنى عشرة كانت أكـــثر عهود تلك المؤسســـة المصريـــة ازدهـــارًا وعطاءً، وأكثر مراحل عمر مؤنس خصوبة وإنتاجًا فى الوقت نفسه .

كنا نعمل فى المعهد صباحًـــا ومســـاءً، لا ننقطع عنه إلا نحو ساعتين فى وسط النهار. كانت المجلة معرضًا لما خُصَّت بـــه مـــن أبحاث علمية، اشترك فى كتابتها مصريـــون وعرب وأوربيون حول الحضارة الأندلسية بمختلف جوانبـــها . مطبوعـــات المعـــهد بالعربية والإسبانية تكاثرت وازداد الطلـــب عليها . لم يكن أسبوع يخلو من محـــاضرة يلقيها أحدنا فى مدينـــة إســـبانية حـــول موضوع متعلق بالأندلس أو بالثقافة العربية الإسلامية القديمة أو الحديثة فى مدينة كبيرة أو صغيرة ، أو من ندوة نشترك فيها ، وقد اقتضى ذلك منا جولات لا تنقطع فى أنحاء شبه الجزيرة ، العلماء المستشرقون الإسبان وغيرهم من الأدباء و الأساتذة الجـــامعيين يترددون بغير انقطاع على المعهد محاضرين أو مشتركين فى أبحاثنا ، وبالتعاون معـــهم نظمنا ما يعرف باسم الجلسات الأندلســـية التى كان يعقد لها مؤتمر سنوي، يقام كـــل عام فى إحدى العواصم الإسبانية ، وأصبح ذلك تقليدًا مستمرًّا . الاهتمـــام بالثقافـــة

العربية و الإسلامية يتزايد متمثلاً فى إقبال عدد كبير من الطلبة على دروس اللغة العربية التى ينظمها المعهد، وفى تردد الجمهور على ما يلقى فيه من محاضرات أو ينظم من ندوات أو حلقات دراسية . ولم يكن ذلك يمنعنا من نشر كتب و مقالات في مجلاّت العالم العربى وصُحُفه . وكنا نعمل أيضًا على تعريف جمهورنا العربى بالأدب الإسبانى عن طريق الترجمة، أو الدراسة .

خلال هذه السنوات أصدر حسين مؤنس عدداً لا يكاد يحصى من الكتب والمقالات بين تأليف، و ترجمة، وتحقيق نصوص . وكانت دائرة عمله الواسعة بطبيعتها تزداد اتساعًا ، فهو - إلى جانب تخصصه فى الدراسات الأندلسية - يكتب فى تاريخ الإسلام فى الشرق والغرب وترد عليه كتب بالعربية وبمختلف اللغات الأوربية فيكتب عنها عارضًا وناقدًا ، ويسوافى صحيفة الأهرام أو غيرها بمقاولات ذات طابع أدبى، يعرض فيها الجديد من النتاج الأدبى الإسباني والأوربي . ولهذا فقد كان اسمه مألوفًا في العالم العربى من الكويت إلى المغرب الأقصى، وخارج هذا العالم فى العواصم الأوربية والأمريكية .

كنا نتخذ من حسين مؤنس قدوة فى التنوع، والخصوبة، والانفتاح على كل ألوان الثقافة . وكنت أعجب من قدرة هذا الرجل على العمل وصبره عليه ، ومن طاقته العجيبة على الاشتغال فى أكثر من موضوع فى وقت واحد ، وما أكثر ما كنت أدخل عليه مكتبه فأراه -مع تصريفه لأعمال المعهد الإدارية - وقد بسط أمامه أوراق ما يكتبه تحقيقًا لنص تراثى قديم ، ثم لا يلبث أن يترك ذلك إلى ترجمة كتاب أو مقال ، وينتقل إلى تحرير مقال أدبى ، وهو فى أثناء ذلك لا يكف عن القراءة والتعليق على ما يقرأ ، ثم يستأنف العمل فى هذا أو ذاك من الموضوعات التى يشتغل بها بغير أن يضيق ذرعًا بهذا التنقل ، وكأن كل شىء جاهز فى ذهنه لا يحتاج منه إلى أدنى توقف.

وهو مع كل ذلك يحب الحياة،ويقبل عليها، ويحسن المتعة بها ، فلا يحرم نفسه من شىء منها : يستجيد الطعام فيحب أطيبه ، وترتاح نفسه للنزهة فى أوقات فراغه وإن كانت قليلة ، وهو مألفٌ للناس

لا يغلق بابه دون أحد ، وإذا تحدث فعلى حديثه طلاوة ساحرة وعباراته لا تخلو أبدًا من فكاهة محببة أو نادرة مستطرفة .

سنوات الكويت :

بعد بلوغ مؤنس سن التقاعد كان عليه أن يعود إلى مصر ؛ ولكنه لم يستقر فيها إلا زمنًا قصيرًا . إذ لم تلبث جامعة الكويت أن دعته ليلحق فيها بقسم التاريخ . وفى البلد العربى الشقيق قضى ثمانى سنوات، كان يباشر العمل خلالها أستاذًا للتاريخ الإسلامي بمختلف فروعه ، وقد أستأنف هناك كل ألوان نشاطه ، فنشر فيها بعض كتبه، وأعاد نشر ما سبق له تأليفه ، وفى مجلات الكويت العلمية والسيارة كانت أبحاثه ومقالاته لا تكاد تنقطع . ولم ينس اشتغاله المستمر بالصحافة ، فكان له عمود يومىٌ فى صحيفة " القبس " بعنوان "كلمة طيبة " وكان يسجل فيها ما يعنُّ له من خواطر حول مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية والفكرية . ولم يَحُلْ كل هذا النشاط بينه وبين الوقوف على تحرير جديد للسيرة النبوية فى عدة مجلدات باللغة الإنجليزية ، وهو مشروع طموح كان بدأ العمل فيه في مدريد، ثم واصله بعد ذلك،بعد عودته إلى مصر ، إلا أنه لم يقدر له أن يخرجه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

عودة الطير المهاجر : " الهلال " :

بعد أكثر من عشرين سنة فى هجرة متصلة كان على حسين مؤنس أن يقضى السنوات الأخيرة من حياته فى مصر ، ففى أواخر السبعينيات قرر العودة من الكويت، فانتظم فى الجامعة أستاذًا متفرغًا فى قسم التاريخ ، وهو القسم الذى بدأت حياته العلمية فيه . وفى الوقت نفسه عاوده الحنين إلى الصحافة التى جمع بينها وبين عمله الأكاديمي، منذ مطلع حياته . وكان من الاتفاق السعيد أن تكون عودته الصحفية أيضًا إلى دار " الهلال " التى بدأ عمله فى إحدى مجلاتها وهى " الاثنين " منذ أوائل الأربعينيات ، فقد اختارته الدار العريقة رئيسًا لتحرير مجلة " الهلال " الشهرية التى ظلت منذ إنشائها فى سنة ١٨٩٢م من أبرز معالم نهضتنا الثقافية .

وقد استمرت صلتى بمؤنس لم تنقطع خلال تلك السنوات . وكنت قد قضيت فى مصر أربع سنوات بعد عودتي من إسبانيا . ثم دعانى المعهد المكسيكى أستاذًا زائرًا فى سنة ١٩٦٩م ، وهناك قضيت سنتين دعتنى

بعدهما جامعة الكويت أستاذاً بها ، فرافقت أستاذى حسين مؤنس هناك فى الجامعة نفسها على مدى ست سنوات، عدت بعدها إلى مصر فى آخر سنة ١٩٧٨م.

وفى " الهلال " تجدد لقاؤنا ، وكأن حياتى قد ارتبطت بحياته فى الغربة وفى الوطن ، فقد طلب إلىّ أن أعاونه فى تحرير المجلة ، فكنت أكتب فيها بابًا شبه ثابت بعنوان "من ديوان العرب " وهو يقوم على الإجابة عن أسئلة يبعث بها القراء إلى المجلة يستفسرون فيها عن بيت شعر مجهول القائل، أو عن قصة مثل مشهور، أو خبر لا تعرف تفاصيله ، وكانت تجربة طريفة سعدت فيها بلقاء قراء " الهلال " . كما كنت أكتب فى الهلال ما اتسع الوقت له من بعض الأبحاث أو المترجمات .

أما افتتاحيات مؤنس لأعداد المجلة ، وما كان ينشره فيها من مقالات أو تحقيقات فإنها تعد قطعا أدبية رائعة . وكان- بحكم سعة ثقافته وتنوعها - يعالج فيها موضوعات بالغة الطرافة والتباين من تعليقات سياسية إلى اجتماعية أو فنية . كانت مثل المقالات التى بدأ بها العمل فى مجلة " الاثنين " غير أنها - بعد تلك الخبرة الطويلة فى الحياة والزاد العلمى والثقافى الذى حصله على مدى السنوات السابقة - كانت أعمق غوراً وأغزر فوائد وأكثر تألقا ونضارة .

ثم واصل مؤنس بعد ذلك الكتابة الصحفية فى مجلة " أكتوبر " فكانت مقالاته الأسبوعية فى هذه المجلة من أروع ما ازدانت به هذه المجلة ، وكان يقدم فيها أحيانًا صفحات من تاريخنا وتراثنا، وأحيانًا أخرى تعليقات نقدية لما يراه فى مجتمعنا المعاصر، أو معالجة لبعض قضايا الساعة .

و لم يمنعه ذلك العمل الدؤوب من استئناف جهوده البحثية . وكان قد انتخب عضوًا فى مجمع اللغة العربية ، وشاء حظّي أن أنتخب معه فى الجلسة نفسها.فتزاملنا أيضا فى هذه المؤسسة العتيدة . وكان نشاطه فى المجمع كالعهد به : يشارك فى عدد من لجانه، مقرراً أو عضوًا ، كما كان يسلهم فى مؤتمره السنوى بأبحاث أو محاضرات نالت دائما إعجاب الجميع . و لم ينقطع عن جلسات المجمع إلا بعد أن أقعده المرض قبل وفاته بنحو سنتين ، بعد أن جاوز الثمانين من العمر .

إنتاج لا مثيل له فى غزارته وجودته :

لو أن المرء تأمل ما خلفه قلم حسين مؤنس من كتب ودراسات لما تمالك نفسه من العجب : كيف ينتمي كل هذا النتاج إلى قلم واحد ، وهو كثير على جيل من الباحثين ؟ فى ميدان الكتابة التاريخية يكفى أن ننظر إلى مؤلفه الجامع " فجر الأندلس" الذى يقع فى نحو ٧٥٠ صفحة ، وفيه يتناول تاريخ الأندلس خلال نصف قرن فحسب . فهو من الدقة والعمق والاستقصاء بحيث لا مزيد . وكتابه عن "الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس" ويقع فى مثل هذا العدد من الصفحات ويُعدُّ أكبر بحث فى هذا الموضوع، الذى يجمع فيه بين المعارف الجغرافية والتاريخية . ومثل ذلك يمكن أن يقال عن كتابه عن " التاريخ والمؤرخين " وعن " الحضارة " المنشور فى الكويت ، وعن " مصر ورسالتها " وهذان الكتابان الأخيران خلاصة لتجارب مؤنس وقراءاته فى التاريخ العام ، فهما دراستان تنتميان إلى ما يمكن أن يسمى بفلسفة التاريخ ، فهما أشبه بمقدمة ابن خلدون فى شمول الإحاطة بمسيرة الإنسانية، وعمق النظرة إلى بواطن الأمور ومغزاها العميق، لا إلى التاريخ فى ظاهر أحداثه .

وفى كتابيه " صور من البطولة " و " سنيورة نور الدين محمود " دروس على القارئ المصري والعربي أن يستوعبها حتى يؤمن برسالة أمته فى قافلة الحضارة الإنسانية .

كل هذا و لم نتحدث عن مقالاته وأبحاثه التاريخية حول الأندلس والشرق العربى والإسلامي ، ولو جمعت هذه المقالات لألفت عدداً كبيرًا من المجلدات الضخمة .

وفى ميدان تحقيق التراث يكفى أن نشير إلى عمله فى إخراج كتاب " الحلة السّيَراء " لابن الأبار البلنسى ، و " رياض النفوس " للفقيه أبى بكر المالكى القيروانى ، و " أسنى المتاجر " للونشريسى ، وهو كتاب حول أوضاع المسلمين الموريسكيين الذين خضعوا لدولة إسبانيا المسيحية ، "وضوابط دار السكة " للحكيم أبى الحسن على بن يوسف ، وهو كتاب يعالج موضوعًا اقتصاديًّا بحتًا .

وفى ميدان الترجمة علينا أن ننوه بترجمته لدراسة المستشرق الإسبانى غرسيه غومى عن " الشعر الأندلسى " ولكتاب جونثالث بالنثيا عن " تاريخ الفكر الأندلسى " وهو

أشبه بموسوعة ضخمة حول الثقافة الأندلسية . والحقيقة أن فى إطلاق اسم الترجمة على هذا الكتاب ظلمًا لحسين مؤنس ، ففيه من الإضافات والنصوص الكاشفة ما يجعل مؤنسًا مشاركًا فى تأليفه. هذا عن الترجمة العلمية ، وأما الترجمة الأدبية فلحسين مؤنس مشاركة قيمة فيها. فقد ترجم عن الإسبانية مسرحية للوركا هى " الزفاف الدامى "، ولعميد المسرح الإسبانى فى عصره الذهبى لوپى دى بيجا مسرحية " فونت أوبخيونا " أو " ثورة فلاحين " وهما من أجمل نصوص الأدب الإسباني القديم والحديث ، وله ترجمة أخرة عن الإنجليزية لمسرحية جون شتاينبك " ثم غاب القمر " .

وفى ميدان الإبداع الأدبي نجد له أيضًا إنتاجًا متميزًا أذكر منه " حكايات محيرستان "، وهى مجموعة من القصص الرمزية ، و " أهلاً وسهلاً " وهى رواية طويلة ذات مغزى سياسي واجتماعي و"الطريق الأبيض "، وهى مسرحية ، بالإضافة إلى مجموعات من القصص القصيرة لعل أبقاها فى أذهان القراء قصته المشهورة التى تتجلى فيها قدرته الساخرة " إدارة عموم الزّير " حول البيروقراطية المصرية ، وكان من ذيوع هذه القصة أن ذهبت " إدارة عموم الزير " مثلاً سائرًا بين الناس .

* * *

وبعدُ فإن إنتاج حسين مؤنس فى سائر الميادين يتعذر استقصاؤه ، وهو- فى تنوعه ودلالاته وجودته الفائقة- يتطلب أكثر من دراسة . وإنما ألمحنا إلى عدد قليل منه على سبيل التمثيل لا الإحصاء .

رحم الله هذا القلم الدى لم يخلد إلى راحة والذى كان غذاءً روحيًا وعقليًا ممتعًا لجمهور عريض من القراء على مدى أكثر من نصف قرن !

رحم الله حسين مؤنس وتغمده برضوانه وأجمل فيه عزاء أسرته، وعزاءنا، وعزاء دار الهلال التى انتمى إلى أسرتها خلال شطر كبير من حياته .

رحم الله حسين مؤنس ، فقد كان أمة وحده !

محمود علي مكي

عضو المجمع

كلمة الأسرة

للأستاذة الدكتورة منى حسين مؤنس

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية:

الأساتذة أعضاء المجمع الكرام :

السيدات والسادة :

اسمحوا لى بالنيابة عن أسرة المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس أن أشكر لكم صادقَ مشاعرِكُم ، وجميلَ تقديرِكم ، وطِيبَ وفائِكم . والحقُّ أن ما تقومون به اليومَ إنما هو بعضُ دورِكم فى الحياة الثقافية والعلميةِ للأمة ، وأنتم فى القلبِ من هذه الحياة ، وتقومون بدور الرائد الذى يهدى أهله ، ويقود خطاهم إلى طريق المعرفة والتقدم . وإذا كانت اللغة هى وعىُ الأمةِ وعلامة نهضتها فإن توليكم لأمور لها ، والقيام برعايتِها وصيانتِها ، إنما هو تولٍّ منكم للأمة فى أعز ما تملك ، ورعايةٌ وصيانةٌ لأسمى ما تمارس .

وقد كان والدى رحمه الله فخوراً بعملِكم، حريصًا على صلتِه الأصيلة بهذا المجمع الكريم ، حفيًّا بعلاقته بأعضائه الكرام .

وحين تؤكدون ، اليوم ، اعتزازكم بوالدي، وتقديرَكم لإنجازِه ، وحرصَكم على تراثِه ، فإنما تؤكدون الأصيلَ فى جمايةِ وصيانةِ المنجزَ المتميز من ميراث هذه الأمة.ولذلك ، أكرر لكم الشكر باسم والدي المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس .

وأدعو الله لكم جميعا بطيب الصحة والعافية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الختام

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف

رئيس المجمع

أيها السادة :

إننا مهما تحدثنا عن الأستاذ الدكتور حسين مؤنس فلن نستطيع الإحاطة بأعماله العلمية والأدبية الرائعة . وأنا أشكر الأستاذ الدكتور محمود مكى على ما صوَّر فى تأبينه للدكتور حسين مؤنس من أعماله المجيدة . وإني أتقدم باسمي واسم المجمع بالعزاء الخالص لأسرته ،وللسيدة الجليلة صاحبة العصمة حرمه، وللسيدة الفاضلة كريمته الدكتورة منى الأستاذة بقسم اللغة الإنجليزية بآداب جامعة القاهرة. وأشكر جميع الحاضرين لمشاركتهم لنا فى حفل تأبين الأستاذ الدكتور حسين مؤنس ، تغمده الله بواسع رحمته .